OPEN ACCESS
Journal of Arabic Research (AIOU)
jar.aiou.edu.pk
iri.aiou.edu.pk

الاتجاهات النقدية في مجالس الخلفاء في العصر الأموي

Critical trends in the councils of the caliphs in the Umayyad era

❁ د.شبانة نذر
أستاذة مساعدة، قسم اللغة العربية، الجامعة الإسلامية، بهاولبور
❁❁ د.شهامد علي طاهر
مديرالمدرسة الحكومية، باكبتن

ABSTRACT

Most of the critical judgments that were issued in the Caliphs' councils on the literary effects of approval or disapproval were not based on taste and sound instinct alone without reflection and forethought but were based on that based on specific objective controls and standards, it is true that they were not written down. In books, there is an objective, systematic, scientific notation, but it was clear in their minds, known to many of them, they respect and revere it, and they submit to its judgment.

Here we talk. Insha'Allah. Briefly about the critical trends based on which the Caliphs and others slandered literature and criticized poetry in those councils.

Keywords: critical judgments, Caliphs, literary effects, scientific notation, critical trends.

المدخل:

معظم الأحكام النقدية التى صدرت فى مجالس الخلفاء على الآثار الادبية من الاستحسان أو الاستهجان لم تكن قائمة على أساس التذوق والفطرة السليمة المجردة فحسب بدون تفكر و تدبر، و إنما كانت مبنية إلى جانب ذلک على أساس ضوابط و مقاييس موضوعية محددة ، صحيح انها لم تكن مدونة فى الكتب تدوينا علميا منهجيا موضوعيا، لكنها كانت واضحة فى عقولهم، معروفة لدى كثير منهم، يحترمونها ويجلونها، ويخضعون لحكمها-

وفيما يلى نتحدث- إن شاء الله- بايجاز عن الاتجاهات النقدية التى على أساس منها عاب الخلفاءُ و غيرهم الأدب ونقدوا الشعر فى تلك المجالس:

١- الاتجاه اللغوى:

سر جمال الشعر و روعته فى حسن الاختيار للألفاظ و استخدامها فى محلها المناسب فى اسلوب رصين، فان كان هناک شعر يشتمل على كلمات لها ايحاء يتعارض مع المعنى الذى يقصده الشاعر فانه يكون فى هذه الحالة عرضة للنقد-

ومن أوضح الأمثلة لذلک أنَّ أبا النجم دخل على هشام بن عبدالملک بأرجوزته التى أولها:

الحمد لله الوهوب المجزل

وهى من أجود شعره،فلما أتى على قوله:

والشمس فى الجو كعين الأحول

غضب هشام و كان أحول، فأمر بصفع قفاه و اخراجه

ب) الاتجاه المعنوى:

ان حسن الشعر و جماله فى احتوائه على علو الخيال ورفعة المعنى، و إذا فُقد هذان الوصفان فلايبقى إلا ألفاظ و نظم، وكان الخلفاء ينقدون الشعر على هذا الأساس إذا كان لايعبر عن عاطفة رقيقة، ولاينم عن خيال رفيع، أو لم يصور ما يتناوله تصويرا بديعا رائعا، أولم يعط الصورة الواقعية الصادقة له-

وهناک أمثلة كثيرة تفيض بملاحظات نقدية أثيرت على هذا الأساس فى مجالس الخلفاء، و من تلک الأمثلة: أنه اجتمع جرير و الفرزدق و الاخطل عند هشام بن عبدالملک، فأحضر هشام ناقة له، فقال متمثلا:

أنيخها ما بدا لى ثم ارحلها

ثم قال: أيكم أتم البيت كما أريد فهى له

فقال جرير: كأنها نقنق يعدو بصحراء

فقال: لم تصنع شيئا

فقال الفرزدق: كأنها كأسر بالدوفتخاء

فقال: لم تغن شيئا

فقال الأخطل: تزجى المشافر واللحيين إرخاء

فقال : اركبها، لاحملک الله-1

لم يعجب الخليفة بما أتم به البيت كل من جرير و الفرزدق لأنهما وصفا الناقة بما لا يلائم الواقع، اذ أن الناقة لا تسرع فى بداية حركة سيرها، خاصة بعد أن كانت مناخة، و أما الأخطل فكان قد أجاد التصوير، ولذلک كان موضع اعجاب الخليفة، لأنه وصف الناقة فى بداية حركتها وصفا حقيقيا، و أعطاها الصورة الواقعية لها فى بداية سيرها بعد أن كانت مناخة مستريحة-

وبعد أن توسعت رقعة الدولة الأموية، كثر اختلاط المسلمين بغيرهم من الشعوب و القبائل المفتوحة، وكان لكثير من تلک الشعوب وسائلها فى اللهو و اللعب و التمتع بالحياة والنساء ولم يبق الشعراء معزولين عن التأثر بهذا الجانب من جوانب الحياة الجديدة نتيجة لاختلاطهم بهذه الشعوب، و بدأت آثار ذلک الاختلاط تظهر فى أشعارهم، لكن الخلفاء الذين كانوا يتمسكون بالدين والأخلاق ماكانوا يصبرون على سماع أشعار فيها هجاء مقذع أو تغزل فاحش، أو خلاعة فى التشبيب بالنساء، لأن الدين الاسلامى و الأخلاق الفاظة لايسمحان بذلک-

وها هو ذا خليفة المسلمين عمر بن عبدالعزيز و قد دخل عليه نصيب الشاعر بعد ما ولى الخلافة، فقال له: ايه يا أسود، أنست الذى تشهرُ النساء بنسيبک، فقال: انى قد تركت ذلک يا أمير المؤمنين، وعاهدتُ الله عزوجل ألا أقول نسيبا، فشهد له بذلک من حضر و أُثنوا عليه خيرا- فقال: أما اذا كان الامر هكذا فسل، حاجتک، 2-

ويؤيد ذلک ما يروى عن سليمان بن عبدالملک انه لما بلغه قول عمر بن أبى ربيعة من قصيدة له:

وكم ماليءٍ عينيه من شئ غيره

إذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

منعه من الحج مع الناس عقابا له على ما صدر منه من الشعر الفحش ولم يكتف الخليفة بنقد شعره بل أخرجه من مكة الى الطائف حتى لايكون سببا لتعميم الفساد الخلقى بين الناس- فلم يرجع من الطائف إلى مكة حتى قضى الناس حجهم-3

وهناک ضرب آخر من ضروب النقد الأدبى على أساس الاتجاه المعنوى حيث ينظر إلى المعنى من حيث الفائدة و الخير للناس عامة، ومن ذلک أن الاخطل أنشد عبد الملک بن مروان قوله:

بكر العواذل يبتدرن ملامتى

والعاذلون فكهم يلحانى
فى أن سبقت بشربة مقدية
صرف مشعشعة بماء شعان4

فقال له عبد الملك: شبيب بن الهبرصاء 5 أكرم منك وصفا لنفعه، حيث يقول:

وإنى لسهل الوجه يعرف مجلسى
إذا أحزن القاذورهة المتعبس
يُضىء سنا جودى لمن يبتغى القرى
وليل بخيل القوم ظلماء حندس
ألين لذى القربى مراراً وتلتوى
بأعناق أعدائى حبال تمرس6

الصفات التى وصف بها نفسه ينحصر أثرها فى نفسه فقط ،أما الصفات التى وصف بها شبيب بن البرصاء نفسه فيتسع أثره ليشمل المجتمع، لذلك نرى عبدالملك بن مروان يفضل أبيات شبيب قائلا:

"شبيب بن البرصاء أكرم منك وصفا لنفسه، لأنه كلما كانت الاوصاف من الفضائل النفسية الكريمة التى تنم عن مبدأ أخلاقى روحى، كانت أعلى قدرا من الصفات التى لايتجاوز أثرها حدود شخصية الشاعر الذى تغنى بها"

وأحيانا كان الشعر ينقد من حيث حسن معناه، أو قبحه على أساس سياسى، لأن كل حزب من الأحزاب لايستطيع الصبر على سماع مدح للحزب المعارض له و قبول مانشر من نظرياته، فيحاول رجال كل حزب النيل من شعراء الحزب الاخير، وذلك بابراز الملاحظات النقدية التى يصوغونها متأثرين بالنزاعات السياسية- والخلفاء أيضا كانوا – أحيانا– ينقدون الشعر فى مجالسهم على هذا الأساس-

ويبدو ذلك مما روى أنه لما أنشد ابن قيس عبدالملك بن مروان:

يعتدل التاج فوق مفرقه
على جبين كأنه الذهب

قال: أما لمصعب بن الزبير فتقول:

انما مصعب شهاب من الله

تجلت عن وجهه الظلماء

وأما لى فتقول:

على جبين كأنه الذهب 7

والخليفة هنا يوازن بين ما قاله الشاعر فى مدحه و ما قاله فى مدح مصعب بن الزبير، فيرى أن الصفات التى مدح بها مصعبا أفضل من الصفات التى مدح بها هو، لأن الشاعر يصف مصعبا باوصاف لينية نفسية عالية، ويصف الخليفة بأوصاف حسية عرضية ظاهرية، لاتترک أترا دائما فى قلوب الناس- ذلک أن ''عبد الملک بن مروان أدرک بعقله الواعى لصناعة الكلام وذوقه العربى الاصيل الفارق الشاسع بين ما مدحه به ابن الرقيات و ما منح به مصعب بن الزبير، وفطن الى أن ابن الرقيات و هو يمدح مصعبا بعافطة صادقة، أصغى عليه من الصفات الخلقية ما يتمثل بالنقس من الفضائل- ومن ثم جاء معناه واسلوبه و تصويره قويا رائعا، بينما يهبط المعنى و يضعف الاسلوب والتصوير فى مدحه عبدالملک-8

(ج) الاتجاه العروضى:

كان الشعر ينقد فى مجالس الخلفاء على اساس المقومات الأساسية للنقد، وهى الذوق و الاحساس و الشعور- فنشاط الخلفاء و غيرهم من النقاد لم يكن قاصرا على اللفظ و المعنى والاسلوب فحسب، بل راهوا فى ذالک ما كانت قد ألغت آذانهم من النغمات المتسقة والوحشة والانسجام أثناء القصيدة، وما كانت الغته أذواقهم المرهفة و شعورهم الصادق من الاتحاد فى الحركات و الحروف فى القوافى بنظام دقيق، فاذا أحست آذانهم الشذوذ فى النغم بسبب فقدان الوحدة والانسجام أو شعرت بالخلل فى نظام موسيقى، عابوا الشعر على أساس ذلک-

يوضع ذلک ما يروى عن مروان بن الحكم أنه قال خالد بن يزيد بن معاوية و قد استنشده من شعره، فأنشده:

فلو بقيت خلائف آل حرب

ولم يلبهم الدهر المنونا

لأصبح ما ءُ اهل الأرض عذباً

واصبح لحم دنيا هم سمينا

فقال له مروان: منونا وسمينا ، والله انها لقافية ما اضطرک اليها الالعجز-9

هذ الذى قام له الخليفة نقد عروضى، والعيب العروضى الذى أشار اليه هو ما يسمى عند علماء العروض''السناد''-10 لكنه فى الحقيقة ليس عيبا خطيرا، لأنه قد ورد فى أشعار العرب ما يؤيد أن الياء والواو يتعاقبان فى قوافى الشعر، لذک لا يعد هذا عيبا كبيرا، قال الأقيشر:

تريک القذى من دونها وهى دونه

لوجه أخيها فى الاناء قطوب

كميت اذا فضت و فى الكأس وردة

لها فى عظام الشاربين دبيب11

وهذا ما صرح به صاحب العقد الفريد قائلا: ''وهذا مما لا عجز فيه ولا عابه أحد فى قوافى الشعر، وما أرى العيب منه الا على ما رآه أيضا، لأن الواو و الياء يتعاقبان فى أشعار العرب كلها قديمها وحديثها، قال عبيد بن الابرص:12

وكل ذى غيبة يئوب

وغائب الموت لايموب

من يسأل الناس يحرموه

وسائل الله لايخيب

ومثله فى المحدثين:

اجارة بيتينا أبوک غيور

وميسور ما يرجى لديک عسير13

ولكننا رغم ذلک نرى أن نقد الخليفة مروان بن الحكم له قيمة فنية كبيرة من حيث التذوق للنغمات الموسيقية، لأنه مع ورود خلاف ما ذهب اليه فى كثير من أشعار كبار الشعراء من كل عصر نجد الاسماع المرهقة والاذواق المرتفعة، تتنبه لذلک لانعدام الموسيقى والجمال الفنى الشعرى بسبب فقدان الوحدة والانسجام فى قوافى القصيدة بعد التحول فيها من الواو الى الياء وعكسه- ثم ان هذا التحول و ان لم يكن عيبا مخلا الا أنه لاينفى عجز الشاعر عن البقاء على قافية واحدة من أول القصيدة إلى آخرها، لان الشاعر لم يتحول من حالة إلى حالة أخرى الا لعجزة عن مواصلة السير على وتيرة واحدة، لذلک نرى أن الخليفة كان يقظا فى ملاحظته، حيث اعتبر التحول من الواو الى الياء

عجزا- وهذا يدل ذوقه المرهف وقلبه الحساس و شعوره القوى و معرفته بعناصر الجمال الشعرى، حيث فرق بين الجواز والجمال الفنى:

ومثل هذه الملاحظات النقدية التى تدل على ذوق مرهف و شعور صادق لصاحبها، كانت تتصدر- أيضا- من النوعيات الأخرى التى كانت تحضر هذه المجالس مما يدل على عقولهم الناضجة وأذواقهم المهذبة، اذ كان بعضهم يعيب على الشاعر ما يسمع منه من شذوذ النغم وعدم الوحدة الموسيقية و فقدان الانسجام فى قوافى القصيدة-

وفى الموشح أن الفرزدق أنشد يزيد بن عبدالملک قوله:

مستقبلين شمال الشام تضربنا

بحاصب كنديف القطن منشور

على عمائمنا تلقى و أرحلنا

على حراجف تزجى مخهارير14

فعاب البيت الشانى عليه عنبسة بن معدان15(عنبسة الفيل) فى قوله:

مخهارير،فقال له الفرزدق: وما يدريک يا ابن النبطية؟ ثم دخل قلبه منه(أى من البيت) شئى، فغيره،فقال:

على حراجف تزجيها محاسير16

هذا النقد أيضا قائم على أساس عروضى، حيث نبه عنبسة بن معدان الفرزدق على وجود قافية مرفوعة فى قصيدة مخفوضة القوافى وهو ما يسمى عند العرب''بالاقواء'' وهو يعد عيبا من عيوب الشعر، وكان العرب القدامى قد تنبهوا الى مثل هذه العيوب و اجتنبوها، و عابوا على من أتى بها من الشعراء-17

ان دلّ هذا على شئى فانما يدل على أن كثيرا من المفاهيم العلمية كانت معروفة لدى العرب قبل أن يضع لها علماء العروض أسماء فى ذلک الفن، بل ان هناک من الروايات ما يرى أنهم استخدموا ألفاظا أصبحت هى بعينها بعد ذلک مصطلهات علمية فى علم العروض، أنشد عدى بن الرقاع18الخليفة الوليد بن عبدالملک قصيدته التى أولها:

عرف الديار توهآماً فاعتادها

حتى أتى على قوله:

وقصيدة قدبت أجمع بيها

حتى أقوم ميلها و سنادها

فقال له كثير: لوكنت مطبوعا أو فصيحا أوعالما، لم تأت فيها بميل ولاسناد، فتحتاج الى أن تقومها-19

خلاصة البحث:

عرفنا مما سبق أن مجالس الخلفاء تعد مظهرا قويا من مظاهر رعاية الحركة الأدبية فى العصر الأموى، وانها قد أدت دورها الفعال فى ابراز المفاهيم والأصول النقدية على أيدى كثير من النقاد الذين كانوا يحضرون هذه المجالس-

وكان يدفعهم الى ذلک فضلا عن الدوافع الخلقية و التربوية والسياسية، تذوقهم اللأدب، و رغبتهم بتقويم الشعر، واحساسهم القوى فى تغيير مجرى الحياة الادبية- استجابة للحياة الحضرية الجديدة والدواعى الفن الأدبى- وكانوا ينقدون الأدب على أساس ضوابط و مقاييس كانت معروفة لديهم، وان كانت غير مدونة فى الكتب تدوينا منهجيا علميا موضوعيا- نقدوا الشعر والأدب لغويا و معنويا وعروضيا-

ولا شک أن هذه الجهود كان لها آثار بارزة فى النهضة الادبية والنقدية فى البيئات العلمية المختلفة مما جعل الأدب و نقده يتقدمان ويتطورا ن ويخطوان الى الامام خطوات واسعة-

الهوامش

1 - الاغانى ٩/٨ ٣٠٤- أنيخها: ابركها- نقنق: الظليم و هو ذک٥ النعام- الكاسر: المعقاب- الدو: الفلاة الواسعة الفتخاء: العقاب اللينة

الجناحين- أزجى الشيء: ساقه

2 -الأغانى، ٣٧٦/١

3 -انظر الموشح، ١٨٤

4 -بكر: بادر- العاذل: جمع عاذلة و هى اللائمة، و العاذلون جمع عاذل و هو اللائم- يلحانى: يلومنى (المعجم الوسيط)، ١٦٥/٥)، نسبة الى مقد، وهى قرية بالشام(النظر معجم البلدان (المعجم الوسيط)-

5 -هو شبيب بن يزيد بن همزة بن عوف بن أبى حارثة، المعروف بابن البرصاء المرى- والبرصاء أمه، واسمها قرمانة بنت الحارث

وهو شاعر مجيد من شعراء الدولة الأموية، وكان من سادات قومه و أشرافهم (انظر معجم الأدباء ٢٦٩/١١)-

6 -الاغانى ٢٨٠/١٢- وأحزن: مار فى الحزن (بفتح الزارى) وهو ضد السهل- القاذورة: السئ الخلق، المتعبس: المتجهم- سنا:

تمرس : أى تتدرب على أعناقهم، أصله تتمرس،حذكت إحدى التاءين تخفيفا،

7 -انظر الموشح ١٦٩-١٧٠، والاغانى ٧٨/٥-٧٩

8 -المقايين البلاغية عند الجاحظ ٨٣-٨٤

9 -العقد الفريد ١٨١/٦- والخلائف: جمع خليفة- يلبسهم: يجعلهم يلبسون، المنون: الموت(المعجمالوسيط)-

10 -النساد فى القافية: اختلاف ما يراعى قبل الروى منا لحروف و الحركاتوهى من عيوب الشعر (المعجم الوسيط)-

11 -الاغانى٢٦٩/١١، وانظر العقد الفريد ١٢١/٤

12 -القذى: جمع قذاة، وهى ما تقع فى العين والشراب والماء من تراب و غيرذلک- قطوب : القابض ما بين عينيه من جلد عابسا- الكميت: الخمر لما فيها من سوار و حمرة- الكتمة: هى لون أسرد يخالطه حمرة- غضت: فكت (انظر المعجم الوسيط)- قوله أخوها نبيذ الزبيب، والمعنى ان الشاربين يفضلونها عليه فيشربونها دونه، فهو يقطب من اجل ذلک، و فى أخيها يقول الشاعر:

دع الخمر يش بها الغواة فاننى رأيت أخاها مغنيا بمكانها فالايكنها أو تكنه فانه اخوها غذته امه بلبانها

(جمهرة خطب العرب فى العصور العربية الزاهرة، ٢٦٨/٢-٢٦٩)

13 - هو أبو زياد عبيد بان البرص بن عوف بن جشم الاسدى من مضر، شاعر من دهاة الجاهلية وحكائها، عاصر امرأ القيس، وله معه مناظرات، قتله النعمان و قد وفد

عليه يوم بوسه سنة خمس و عشرين قبل الهجرة(انظر الاعلام ٣٤٠/٤)-

14 -شمال: بفتح الشين الريح التى تأتى من جة الشمال: حاصب: الريح الشديدة تحمل البرد- نديف: القطن المندوف، حراجف:لم أعشر على معناها فى معاجم اللغة
العربية، لعله فيها تصحيف، ويمكن أن تكون فى معنى ''لزواحف'' التى وردت فى رواية أخرى الستى نقلها العلامة المرزبانى أيضا فى كتابه الموشح ص ٩٠، وزواحف: جمع زاحف أو زاحفة، يقال: زحف البعير اذا تعب وأعيا، فهو زاحف و زاحفة، ير: المخ الرقيق(انظر المعجم البيت: ان ارحلنا على النوق التى تسرع مع الضعف و الكلال والتعب نتيجة للسير و الريح الشديدة ذات البرد القارس-
15 -هو عنبسة بن معدان (عنبسة الفيل، معدان الفيل) أخذ النحو عن أبى الأسود الدولى، ولم يكن فيمن أخذ النحو أبرع منه، روى الاشعار وظرف و فصح، كما روى
شعر جرير والفرزدق، (انظر معجم الادباء ١٦/١٣٣-١٣٤)
16 -الموشح ٩١، و محاسير: جمع محسور و هو المتعب المعيى، يقال حسرت الدابة: اذا تعبت و أعيت (انظر المعجم الوسيط)، ومحاسير فى محل جر صفة الحراجف-
17 -انظر دراسات فى نقد الأدب العربى: ٥٤-٥٥
18 -هو عدى بن زيد بن مالک، من عاملة، شاعر كبير من اهل دمشق، كان معاصرا لجرير مهاجيا له، مقدما عند بنى أمية، مداحا لهم، لقب بشاعر أهل الشام، توفى ٩٠هـ (انظر الاعلام ٥/١٠)
19 -الاغانى ٩/٣١٦-٣١٧